



الكنيسة الانجيلية بقصر الدوبارة

سلطان الله ومسئولية الانسان

الحلقة الرابعة

درسنا في الحلقات الماضية أن الله كلي القدرة والسلطان وأن الله الخالق وضع مجموعة من القوانين لحكم الخليقة، فوضع القوانين المادية لحكم العالم المادي والقوانين البيولوجية لحكم الكائنات الحية والقوانين الأدبية لحكم الكائن الأدبي. ورأينا ستة أمور تميز هذا القانون وهي: أولاً أن محتوى هذا القانون هو محبة الله من كل القلب والنفس والقدرة ومحبة القريب كالنفس. ثانياً أن القانون الادبي قانون مطلق ينفذ نفسه بنفسه. ثالثاً أن الحرية التي أعطيت لنا في هذا القانون هي حرية أدبية. رابعاً أن الحرية الأدبية التي لنا هي حرية محدودة فهي نسبية وليست مطلقة. خامساً أساس الحرية الأدبية هي المعرفة وحرية الاختيار. سادساً الله يتعامل مع الإنسان كفرد داخل مجتمع يؤثر ويتأثر به سلباً وإيجاباً.

عندما نضع كل هذه العناصر معاً بجانب بعضها البعض نستطيع أن نرى صورة متكاملة واضحة لما يريد الله أن يعلنه لنا، كما أنها تجاوب على الكثير من الأسئلة التي قد تحير أذهاننا وقلوبنا، وفي نفس الوقت ترد على اتهامات عدو كل خير التي يوجهها نحو الله والتي في الكثير من الاحيان قد نجح في أن يضعها في داخلنا. إنها تحمل الإنسان مسؤوليته الحقيقية ونتيجة اختياراته التي قرر بنفسه أن يختارها.

في هذه الحلقة، سوف نتناول معاً ما الذي يصنعه الله وما الطريقة التي يتدخل بها

رابعاً: خطة الله لخلص البشرية

الله يتدخل في البشرية ليبقي الحق معلناً وحرية اختيار الانسان متاحة وهذا التدخل ليس هو تدخل في الحرية الشخصية للإنسان لكي يملي عليه الله ما يريد أن يصنعه بل هو تدخل في التاريخ الإنساني. وكما رأينا منذ بداية الخليقة وكما هو مسجل في العهد القديم كلما نسي الناس الله وطرقه أرسل الله إليهم نبي من الأنبياء ليذكرهم بناموسه وحقه، ومنذ

عهد إبراهيم بدأ الله ليس فقط أن يتكلم مع الناس عن الخطأ والصواب أو النور والظلمة بل **شرع الله في تنفيذ خطته لخلاص الانسان** من اختيار البشرية الخاطئ الذي اختارته بالانفصال عن الله حتى يسترد لصالح الانسان حرية اتخاذ لقراره، فاختار الله إبراهيم وإسحق ويعقوب ومنهم الآباء. وهذه الخطة ليس لها دخل بمصير الأفراد بل هي خطة لصالح البشرية، فهو لم يرغب أحد على قبوله والحياة معه. أيضاً طوال هذه الخطة لم يرفض الله أي إنسان كائناً من كان أراد أن يعيش له وفقاً لمشيئته فمثلاً تدخله في حياة كرنيليوس هو تدخل إلهي بعد وضوح رغبة قلبه في معرفة الله حيث أرسل له ملاكاً يقول له أن يستدعي سمعان بطرس ليكلمه وفي هذا لم يتدخل الله ليحبر كرنيليوس على الإيمان بالرب يسوع.

وعندما ظهر الله بقوة لشاول الطرسوسي وهو في طريقه لكي يحارب المسيحيين لايعتبر هذا إرغاماً أو ضغط عليه لكي يغير من إرادته وهذا ما شرحه بولس بعد الإيمان في رسالته إلى تيموثاوس فهو يعترف أنه فعل هذا بجهل وفي عدم إيمان ظناً منه أن هذا هو مايريد الله أن يفعله وأن مايفعله يرضي الله، فتكلم الله له بهذه الطريقة لكي ينبهه بأن مايفعله لايرضيه ولايسره بل بهذا قد أصبح ضد الله:

- "أَنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلًا مُجَدِّفًا وَمُضْطَهِّدًا وَمُفْتَرِيًا وَلَكِنِّي رُحِمْتُ، لِأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ إِيْمَانٍ". (1 تي ١: ١٣)

وهذا ما نراه في هذه الأيام من غيرة وحماسة وإضطهاد للمسيحية ظناً من فاعليها أنهم يرضون الله ويطيعونه. لذا، يصنع الله الأمر نفسه بأن يعلن ذاته لهؤلاء الناس تارة بروى وتارة بأحلام فيفهمون أن ما يصنعونه هو ضد الله فيقبلونه مخلصاً ورباً وفادياً.

أحياناً يتدخل الله تدخلات خارقة للطبيعة لا ليرغم الإنسان أن يفعل ما لايريد بل ليساعده ويشجعه أن يفعل ما يريد أي ليوفر للإنسان الإرادة الحرة حتى يستطيع أن يفعل الصلاح. **يحفظ الله العالم من الهلاك** ليعطي للإنسان فرصة التوبة والرجوع، فالعالم الذي نعيش فيه يحتوي في ذاته على أسباب تدميره والتي تتمثل في الكم الهائل من القنابل النووية وأنواع البكتريا والفيروسات التي اخترعها العلماء خصيصاً لكي يدمروا البلاد الأخرى، فإذا ما قرر الله أن يسحب يد رحمته وطول أناته عن هذا العالم فلسوف يحترق ويتدمر نهائياً في لحظات معدودة.

ويبقى السؤال وهو: لماذا اختار الله أناس لكي يحقق بهم خطته وينفذها في هذا العالم بينما لم يختار الباقين في ذلك، أليس هذا ظلماً وجوراً؟ لماذا اختار الله يعقوب ولم يختار عيسو؟ لماذا اختار راحاب على الرغم من أنها ليست من شعب الله؟

أراد الله أن يعلمنا ويفهمنا أن هذا الطريق هو طريق النعمة للذي لا يستحق، فيعقوب وراحاب وغيرهم كثيرين لم يكونوا مستحقين رحمة ومحبة الله لهم. إنها النعمة التي تعطي وتغدق العطاء لمن لا يستحق.

أيضاً اختار الله داود لكي يتم به خطته لأنه وجد قلب داود حسب قلبه، واختار الله إبراهيم لأجل إيمانه، وصموئيل لأجل طاعته. في كل مرة اختار الله شخصاً لكي يتم به مشيئته اختاره لسبب محدد وواضح وليس لكي يحقق مزاجه الشخصي.

خامساً: تدخل الله في حياة الإنسان

يتدخل الله في حياة الإنسان بصور مختلفة وبطريقة لا تسلبنا حريتنا ولا تدفعنا رغماً عنا إلى إتخاذ قرار عكس إرادتنا، بل هو يتدخل لكي يرفع مستوى وقيمة الحق الإلهي وأيضاً لكي يوفر للإنسان الحرية الكاملة لكي يختار اختياراً حراً فمثلاً الله يتدخل:

■ بأعمال الرحمة والعناية

"لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ." (مت ٥: ٤٥)، فالله مُصر كل الإصرار على أن يبارك الأشرار كما يبارك الأبرار حتى تلين قلوبهم وتنتفح لرسالة الإنجيل فيتخذوا قرارات صحيحة ويرجعوا إلى الله الحي.

■ بالإنذار والتأديب

مثل شعب نينوى الذين أرسل الله إليهم يونان بإنذار فرجعوا عن طرقهم وتابوا إلى الله نادمين على الشر، فالله لم يجبرهم على التوبة والرجوع بل هم من قرروا أن يسمعوا صوت الله الذي ينادي عليهم: "قَالَ الرَّبُّ: «أَنْتَ شَفَقْتَ عَلَى الْبَقِيطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتَّعِبْ فِيهَا وَلَا رَبَّيْتَهَا الَّتِي بِنْتٌ لَيْلَةٌ كَانَتْ وَبِنْتٌ لَيْلَةٌ هَلَكَتْ. أَفَلَا أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نَيْنَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ

يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ وَبِهَائِمُ كَثِيرَةٌ!« (يون ٤: ١٠، ١١). وفي نفس الوقت نرى أمم وشعوب يتكلم الله إليهم بالإنذار والتأديب ولكنهم لا يسمعون ولا يرجعوا.

■ بحسب ما يسمح له الفرد

يتدخل الله في حياتنا بقدر ما نسمح نحن له أن يتدخل، وهذا ما يفسر لنا سبب إستطاعة الله أن يتدخل في حياة أولاده أكثر من إمكانية تدخله في حياة الآخرين، فأولاده أي المؤمنين به يستطيع الله أن يتدخل في حياتهم بطريقة أعمق لأنهم يسمحون له بذلك وقد أعطوه الحق أن يتدخل لأنه يعيش في داخلهم. أيضاً درجة إستطاعة الله أن يتدخل في حياة أولاده متفاوتة فليس كل المؤمنين به يعطونه الحق الكامل والحرية أن يتدخل ويصنع ما يشاء، فالبعض يمسك على الله الكثير من الأمور التي لا يريد أن يتدخل فيها وبالتالي فالله يحترم حرية إرادة الإنسان فيرفض أن يتدخل، فليس كل أولاد الله يستطيعون أن يختبروا حضور الله بنفس المقدار أو أن يروه في ظروف حياتهم سواء الحزينة أو السعيدة بنفس الوضوح، ليس لأن الله عنده محابة فيفضل شخص عن آخر بل لأن الإنسان هو من يختار درجة قربته من الله وليس الله هو من يقرر درجة القرب هذه. وفي الآيات التالية نرى كيف أن تدخل الله وقربه من حياتنا يتوقف على مقدار انفتاحنا واقترابنا وطلبنا إياه:

- "إِقْتَرِبُوا إِلَى اللَّهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ" (يع ٤: ٨)

- "وَتَطَلَّبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطَلَّبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ". (إر ٢٩: ١٣)

- "الْتَقُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الْأَرْضِ لِأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرَ". (إش ٤٥: ٢٢)

- "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوْنَ حَسَبَ قَصْدِهِ". (رو ٨: ٢٨)

مبادئ تدخل الله في حياة الإنسان

على الرغم من كوننا أفراد في مجتمع نتأثر ونؤثر فيه سلباً وإيجاباً، فالله لا يتركنا في العالم لتجوز علينا كل تجارب الشرير وخاصة المؤمنون به، فهو يتدخل لكي يحمي المؤمنين به بالدرجة التي تجعله في نفس الوقت لا يحد حرية الآخرين أو يغير قراراتهم التي اتخذوها رغماً عنهم، لذلك لا يوجد ما نسميه القضاء والقدر أو المقدر والمكتوب بل هي تدخلات إلهية وفقاً لمبادئ محددة وهي:

■ الله لا يسمح أن نجرب فوق ما نستطيع

يضع الله الحدود للشرير وأعدائه لكي لا يدعنا نجرب فوق ما نستطيع أن نحتمل، فهو يعلم قدرتنا وطاقتنا على الاحتمال.

■ يعطي مع التجربة المنفذ

سمح الله لإخوة يوسف أن يلقوه في البئر لكنه كان يحميه من أن يُقتل. أيضاً سمح الله أن يُظلم في بيت فوطيفار فوضع في السجن السياسي لكن الله أعطاه نعمة في عيني السجن لكي يستطيع أن يحتمل فترة السجن فأقامه على المسجونين
- "لَمْ تُصِيبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلَّا بَشْرِيَّةٌ وَكَانَ اللَّهُ أَمِينٌ الَّذِي لَا يَدْعُكُمْ تُجْرَبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضاً الْمُنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا". (أكو ١٠: ١٣)

■ يستخدم التجربة للتركية للأفضل

- "وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضاً فِي الضِّيقَاتِ عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا وَالصَّبْرَ تَرْكِيَّةً وَالتَّرْكِيَّةُ رَجَاءٌ وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي لِأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ قَدْ اِنْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدْسِ الْمُعْطَى لَنَا". (رو ٤: ٣-٥)

- "الَّذِي بِهِ تَبْتَهِّجُونَ، مَعَ أَنْكُمْ الْآنَ - إِنْ كَانَ يَجِبُ - تُحْزَنُونَ يَسِيرًا بِتَجَارِبِ مُتَّوَعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَرْكِيَّةً إِيْمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوَجِّدُ الْمَدْحَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ عِنْدَ اسْتِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ". (١بط ١: ٦، ٧)

- "عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيْمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ". (يع ١: ٢)

■ الله يكون معنا في وسط التجربة

- "لأنه تعلق بي أنجيه. أرفعه لأنه عرف اسمي. يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق. أُنْفِذُهُ وَأُمَجِّدُهُ. مِنْ طُولِ الْأَيَّامِ أُشْبِعُهُ وَأُرِيهِ خَلَاصِي". (مز ٩١: ١٤، ١٦)، ففي عمق التجربة نجد الله معنا يتحد بنا ويمسك بيدنا، وهذا ما يعلنه لنا الكتاب في قصة الفتية الثلاثة، فعندما ألقاهم نبوخذ نصر في أتون النار وكانوا ثلاثة أشخاص، رأى الملك ومن معه رابعاً وهو الشبيه بإبن الآلهة يتمشى معهم في الاتون:

- "حِينَئِذٍ تَحَيَّرَ نَبُوخَذَنْصَرُ الْمَلِكُ وَقَامَ مُسْرِعاً وَسَأَلَ مُشِيرِيهِ: [أَلَمْ نَلُقْ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ مُؤْتَقِينَ فِي وَسْطِ النَّارِ؟] فَأَجَابُوا: [صَحِيحٌ أَيُّهَا الْمَلِكُ]. فَقَالَ: [هَذَا أَنَا نَاطِرٌ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ مَحْلُولِينَ يَتَمَشُّونَ فِي وَسْطِ النَّارِ وَمَا بِهِمْ ضَرَرٌ وَمَنْظَرُ الرَّابِعِ شَبِيهٌ بِأَبْنِ الْآلِهَةِ]. (د ٣١: ٢٤، ٢٥) - "فِي كُلِّ ضَيْقِهِمْ تَضَاقِقَ وَمَلَائِكُ حَضْرَتِهِ خَلَصَهُمْ بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ". (إش ٦٣: ٩)

■ يحول الشر إلى الخير

يكون الله معنا في وسط الضيق والتجربة وكذلك يحول الشر الذي أراده الشرير إلى خير لنا ولكل المحيطين بنا، وهذا ما نراه أيضاً في سفر دانيال عن الفتية الثلاثة فبعد ما اختبروا اختبار المعية والرفقة الإلهية المذهلة، أمر الملك أن يقدم الفتية الثلاثة على كل ولاية بابل: "حِينَئِذٍ قَدَّمَ الْمَلِكُ شَدْرَخَ وَمَيْشَخَ وَعَبْدَنْغُوَ فِي وِلَايَةِ بَابِلَ". (د ٣١: ٣٠)، وعوضاً عن أمر الملك باللقاء في أتون النار أمر الملك بأن كل إنسان يتكلم على إله الفتية الثلاثة يعاقب: "فَمِنِّي قَدْ صَدَرَ أَمْرٌ بِأَنَّ كُلَّ شَعْبٍ وَأُمَّةٍ وَلِسَانٍ يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّوءِ عَلَى إِلَهِ شَدْرَخَ وَمَيْشَخَ وَعَبْدَنْغُوَ فَإِنَّهُمْ يُصَيَّرُونَ إِرْبَاءً إِرْبَاءً وَتُجْعَلُ بُيُوتُهُمْ مَرْبَلَةً إِذْ لَيْسَ إِلَهٌ آخَرُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَجِّيَ هَكَذَا" (د ٣١: ٢٩)

كذلك ما نراه في قصة يوسف بعد اختباره العميق أن الله يرافقه وكان معه في كل أزمة من الأزمات التي مر بها وأخيراً رفعه الله ليصبح ثاني المملكة ويستخدمه لإستبقاء حياة أمم وشعوب كثيرة، فقد قال يوسف لإخوته: "أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَّا اللَّهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا لِكِي يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا". (تك ٥٠: ٢٠)

وإلى اللقاء في الحلقة القادمة